التغيّر اللغوي في العالم العربي والعوامل السوسيولغوية المؤثرة
(تنوع اللهجات واللهجات الحضرية نموذجًا)

د. علوية حسينوفا[1]
جامعة أذربيجان للغات– اذربيجان

مقدمة

تُعدّ اللهجات العربية من أبرز مظاهر التنوع اللغوي في العالم العربي، حيث تتسم بدرجة عالية من التغيّر والتعدّد تبعًا للعوامل الجغرافية والاجتماعية والتاريخية. ولا يمكن النظر إلى هذا التنوّع بوصفه ظاهرة لغوية محضة، بل هو انعكاس مباشر للبُنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة في المجتمعات العربية.

وقد أسهمت المدن الكبرى، بوصفها مراكز حضرية وثقافية، في بلورة لهجات حضرية تكتسب مكانة اجتماعية أعلى، وتؤثر تدريجيًا في اللهجات المحيطة بها. كما أدّت العولمة ووسائل الإعلام الحديثة إلى تسريع وتيرة هذا التغيّر وخلق أشكال لغوية هجينة جديدة، مما يجعل دراسة التغيّر اللغوي في السياق العربي ضرورة علمية ملحّة.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في عدم كفاية الدراسات التي تتناول التغيّر اللغوي في العالم العربي من منظور سوسيولغوي شامل، إذ تركز معظم الأبحاث على الوصف اللهجي دون ربطه بالعوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية المؤثرة فيه. كما أن الاعتماد المفرط على المناهج الكمية يحول دون فهم الطبيعة الديناميكية والمعقّدة للتغيّر اللغوي في المجتمعات العربية.

أسئلة البحث

ما طبيعة التغيّر اللهجي في العالم العربي؟

كيف تؤثر المدن الكبرى واللهجات الحضرية في اللهجات الإقليمية المحيطة بها؟

---

[1] مديرة مركز الاستعراب السعودي التابع لمجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، أستاذة اللغة العربية في جامعة أذربيجان للغات

ما دور العوامل السوسيولغوية مثل السلطة، المكانة الاجتماعية، والهجرة في تشكيل التغيّر اللغوي؟

كيف تسهم العولمة ووسائل الإعلام واللغة الإنجليزية في إعادة تشكيل اللهجات العربية؟

ما أثر عامل الجندر في تبنّي اللهجات الحضرية أو المحافظة على اللهجات المحلية؟

أهداف البحث

تحليل ظاهرة التغيّر اللغوي في العالم العربي في ضوء النظريات السوسيولغوية الحديثة.

إبراز دور اللهجات الحضرية في إعادة تشكيل المشهد اللهجي العربي.

الكشف عن العلاقة بين التغيّر اللغوي والعوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

توضيح أثر الجندر والهجرة والعولمة في ديناميكية اللهجات العربية.

المساهمة في توسيع نطاق الدراسات السوسيولغوية العربية من خلال منهج تحليلي نوعي.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يسلّط الضوء على التغيّر اللغوي بوصفه ظاهرة اجتماعية مركّبة، لا يمكن فصلها عن السياق الثقافي والسياسي للمجتمعات العربية. كما يسهم في تعميق الفهم العلمي للعلاقة بين اللغة والهوية الاجتماعية، ويفتح آفاقًا جديدة لدراسة اللهجات العربية بعيدًا عن التصنيفات الجامدة، مع التركيز على التنوّع والتداخل اللهجي.

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي–التحليلي مع توظيف المقاربة السوسيولغوية النوعية، من خلال تحليل أمثلة من اللهجات العربية في البيئات الحضرية المختلفة، ودراسة تأثير العوامل الاجتماعية مثل الجندر، والهجرة، والسلطة، والعولمة في التغيّر اللغوي. كما يستفيد البحث من الدراسات السابقة في مجال اللسانيات الاجتماعية دون الاكتفاء بالتحليل الكمي، سعيًا إلى فهم أعمق لديناميكية التغيّر اللهجي.

الكلمات المفتاحية: التغيّر، اللغوي، العوامل السوسيولغوية، اللهجات، الحضرية

Linguistic Change in the Arab World and Influential Sociolinguistic Factors
(Dialectal Variation and Urban Dialects as a Case Study)

Dr. Ulviyya Huseynova[1]

Abstract

Linguistic change in the Arab world represents a dynamic and complex phenomenon closely connected to social, political, and cultural transformations. Arabic dialects, in particular, demonstrate a high degree of variation influenced by urbanization, social stratification, migration, globalization, media, and gender. This study examines linguistic change in the Arab world with a focus on dialectal diversity and the role of urban dialects as a driving force in reshaping surrounding regional varieties. The research highlights how major cities function as centers of linguistic prestige, contributing to the spread of urban linguistic features and the gradual leveling of local dialects. By adopting a qualitative sociolinguistic approach, the study analyzes selected examples from different Arab urban contexts and traces the interaction between linguistic forms and sociolinguistic factors. The findings emphasize that linguistic change in Arabic dialects cannot be understood in isolation from social structures and identity dynamics, underscoring the need for a comprehensive sociolinguistic perspective in the study of Arabic language variation.

Keywords

Linguistic change, Arabic dialects, urban dialects, sociolinguistics, social factors, Arab world.

[1] Professor of Arabic Language at Azerbaijan State University of Languages .Director of the Saudi Center for Arabic Studies affiliated with the King Salman Global Academy for the Arabic Language

مقدمة

يُعدّ التغيّر اللغوي من الظواهر الأساسية الملازمة للغات الطبيعية، إذ لا توجد لغة ثابتة أو جامدة، بل تخضع جميع اللغات لمسارات مستمرة من التحوّل والتبدّل عبر الزمن، متأثرةً بمختلف العوامل الاجتماعية والتاريخية والثقافية. فاللغة، بوصفها نظامًا تواصليًا حيًا، تتفاعل باستمرار مع المجتمع الذي تُستعمل فيه، وتعكس بنيته وقيمه وتحولاته. ومن هذا المنطلق، يُنظر إلى التغيّر اللغوي اليوم على أنه مؤشر دالّ على الحركية الاجتماعية والتغيرات البنيوية التي تشهدها المجتمعات الإنسانية.

وتبرز هذه الظاهرة بوضوح في اللغة العربية، ولا سيما في مستواها اللهجي، حيث يشهد العالم العربي تنوّعًا لهجيًا واسعًا يعكس التعدّد الجغرافي والاجتماعي والثقافي والسياسي للمجتمعات العربية. فاختلاف البيئات الطبيعية، وتباين الأنماط المعيشية، وتعدد الموروثات التاريخية، كلّها عوامل أسهمت في تشكّل لهجات عربية متباينة، تتمايز فيما بينها على المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية. ولا يمكن فهم هذا التنوّع اللهجي بوصفه ظاهرة لغوية محضة أو انعزالًا عن اللغة العربية الفصحى، بل هو جزء لا يتجزأ من المنظومة اللغوية العربية الكلية.

ولا يمكن مقاربة هذا التنوّع بمعزل عن السياق الاجتماعي الذي تتشكّل فيه اللغة وتُستعمل ضمنه، إذ ترتبط اللهجات ارتباطًا وثيقًا بالهوية الاجتماعية والانتماء الطبقي والمكاني، كما تؤدي دورًا مهمًا في بناء العلاقات الاجتماعية وتحديد المكانة داخل المجتمع. ومن هنا، تبرز أهمية المقاربة السوسيولغوية بوصفها مدخلًا علميًا أساسيًا لدراسة التغيّر اللغوي في العالم العربي، لما توفّره من أدوات تحليلية تربط بين البنية اللغوية والعوامل الاجتماعية المؤثرة فيها.

لقد تجاوزت الدراسات اللغوية الحديثة النظرة التقليدية التي كانت تنظر إلى اللهجات على أنها انحراف عن اللغة الفصحى أو أشكال لغوية أدنى منزلة، وأصبحت تُعالج باعتبارها أنظمة لغوية متكاملة، لها قواعدها الخاصة ووظائفها التواصلية، وتحمل دلالات اجتماعية

وثقافية عميقة. وقد أسهم هذا التحوّل في إعادة الاعتبار للهجات العربية، بوصفها مجالًا خصبًا لدراسة التفاعل بين اللغة والمجتمع، والكشف عن آليات التغيّر اللغوي وديناميكيته. ومن هذا المنطلق، بات التغيّر اللهجي يُفهم بوصفه نتيجة مباشرة لتفاعل اللغة مع جملة من العوامل السوسيولغوية، مثل السلطة السياسية، والمكانة الاجتماعية، والهجرة الداخلية والخارجية، والتحضّر، والعولمة، ووسائل الإعلام الحديثة، فضلًا عن عامل الجندر. فاختيارات المتكلمين اللغوية لا تتم بمعزل عن هذه العوامل، بل تتأثر بها وتُعيد إنتاجها في آنٍ واحد، مما يجعل التغيّر اللغوي عملية اجتماعية مركّبة تتجاوز حدود البنية اللغوية الصرفة.

وتُعدّ المدن الكبرى في العالم العربي مختبرات حيّة لهذا التغيّر، إذ تشكّل فضاءات لغوية مفتوحة تشهد تداخلًا مستمرًا بين لهجات مختلفة نتيجة الكثافة السكانية والتنوّع الاجتماعي والهجرة. وتسهم اللهجات الحضرية، بوصفها لهجات مرتبطة بالسلطة والحداثة والتعليم ووسائل الإعلام، في إعادة تشكيل المشهد اللهجي المحيط بها، وتفرض في كثير من الأحيان أنماطًا لغوية تحظى بقدر أعلى من القبول الاجتماعي والرمزي، الأمر الذي يؤدي تدريجيًا إلى تراجع بعض السمات اللهجية المحلية أو إعادة تشكيلها.

وانطلاقًا مما سبق، تكتسب دراسة التغيّر اللغوي في العالم العربي أهمية علمية بالغة، لما تتيحه من فهم أعمق للعلاقة الجدلية بين اللغة والمجتمع، وتسهم في الكشف عن التحولات الاجتماعية والثقافية الكامنة خلف الظواهر اللغوية. كما تفتح المجال أمام مقاربات بحثية جديدة تتجاوز الوصف السطحي للهجات، نحو تحليل سوسيولغوي شامل يراعي البعد الاجتماعي والرمزي للغة في المجتمعات العربية المعاصرة.

الإطار النظري للتغيّر اللغوي في اللسانيات الاجتماعية

يرتبط مفهوم التغيّر اللغوي في اللسانيات الاجتماعية ارتباطًا وثيقًا بفكرة العلاقة الجدلية بين اللغة والمجتمع، إذ لا يُنظر إلى اللغة بوصفها نظامًا شكليًا مستقلًا، بل باعتبارها ممارسة اجتماعية تتأثر بالبُنى الاجتماعية وتُسهم في إعادة إنتاجها. وقد أسّس وليام لابوف (William Labov)للدراسة المنهجية للتغيّر اللغوي من منظور اجتماعي، من خلال

أبحاثه الرائدة التي بيّنت أن التحوّلات اللغوية لا تحدث بصورة عشوائية، بل تخضع لأنماط اجتماعية يمكن رصدها وتحليلها علميًا .(Labov، 2001) وأكّد هذا الاتجاه أن المتغيرات اللغوية تتوزّع اجتماعيًا وفق عوامل مثل الطبقة الاجتماعية، والعمر، والجندر، ومستوى التعليم، والانتماء الحضري أو الريفي، وأن التغيّر غالبًا ما ينطلق من فئات اجتماعية محددة قبل أن ينتشر في المجتمع.

وفي هذا السياق، تُبرز اللسانيات الاجتماعية التغيّر اللغوي بوصفه عملية تدريجية، تتداخل فيها العوامل اللغوية مع السياقات الاجتماعية، حيث يتأثر اختيار المتكلمين للمتغيرات اللغوية برغبتهم في تحقيق القبول الاجتماعي أو التعبير عن الانتماء والهوية. ويُعدّ مفهوم "المكانة الاجتماعية للمتغير اللغوي" من المفاهيم المركزية في هذا الإطار، إذ ترتبط بعض الأشكال اللغوية بالقوة والهيمنة والهيبة، في حين تُوصم أشكال أخرى بالدونية أو المحلية.

وفي السياق العربي، يكتسب هذا الإطار النظري أهمية مضاعفة، نظرًا لوجود ازدواجية لغوية واضحة بين العربية الفصحى واللهجات المحلية. فالعربية الفصحى تؤدي وظائف رسمية وتعليمية ودينية، في حين تُستخدم اللهجات في الحياة اليومية والتواصل غير الرسمي. غير أن هذا الفصل الوظيفي لا يمنع التداخل المستمر بين المستويين، ولا يُلغي القيمة الاجتماعية للهجات. فاللهجات ليست مجرد أدوات تواصل يومي، بل هي مؤشرات قوية للهوية والانتماء الاجتماعي والمكاني، وقد تكون وسيلة لاكتساب رأس مال رمزي داخل المجتمع، وفق ما أشار إليه بورديو (Bourdieu، 1991) في حديثه عن "السوق اللغوي" والسلطة الرمزية للغة، حيث تتنافس الأنماط اللغوية داخل فضاء اجتماعي تحكمه علاقات القوة والهيمنة.

تنوع اللهجات العربية وطبيعتها:

يتسم العالم العربي بتنوّع لهجي شديد التعقيد، إذ تختلف اللهجات العربية من بلد إلى آخر، بل داخل البلد الواحد، تبعًا لجملة من العوامل الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والسياسية. وقد أسهمت الفتوحات الإسلامية، وحركات الهجرة، والاحتكاك باللغات الأخرى، إضافة إلى العوامل البيئية، في تشكّل هذا التنوع الواسع. ويمكن تصنيف اللهجات العربية

تصنيفات كبرى، مثل اللهجات المشرقية، والمغاربية، والخليجية، والمصرية، غير أن هذه التصنيفات تظل عامة ولا تعكس دائمًا التنوّع الداخلي الدقيق داخل كل مجموعة.

ولا يقتصر التغيّر اللهجي على المستوى الصوتي فحسب، بل يشمل المستويات الصرفية والتركيبية والمعجمية والدلالية. فقد يظهر التغيّر في نطق بعض الأصوات، أو في تبسيط البنى الصرفية، أو في أنماط التركيب، أو في استبدال المفردات التقليدية بأخرى حديثة أو دخيلة. وتُعدّ هذه المظاهر انعكاسًا مباشرًا للتغيّرات الاجتماعية والثقافية التي تشهدها المجتمعات العربية، ولا يمكن فهمها بعيدًا عن سياقها الاجتماعي.(Holes، 2004)

اللهجات الحضرية ودورها في التغيّر اللغوي

تلعب المدن الكبرى دورًا محوريًا في مسارات التغيّر اللغوي في العالم العربي، إذ تُعدّ مراكز جذب سكاني وثقافي واقتصادي. فالمدن، بوصفها فضاءات حضرية مفتوحة، تستقطب فئات اجتماعية متنوعة من مناطق ولهجات مختلفة، مما يؤدي إلى احتكاك لغوي مستمر ينتج عنه ما يُعرف بالتسوية اللهجية(Dialect leveling) ، حيث تتراجع السمات اللهجية المحلية الحادة لصالح أنماط لغوية أكثر انتشارًا وقبولًا.

وتكتسب اللهجات الحضرية في كثير من الأحيان مكانة اجتماعية أعلى مقارنة باللهجات الريفية أو البدوية، إذ ترتبط بالحداثة، والتعليم، والسلطة السياسية، والمؤسسات الرسمية، ووسائل الإعلام. وقد أشار فيرغسون (Ferguson، 1959) إلى أن هذا التفاوت في المكانة يؤثر في اختيارات المتكلمين اللغوية، حيث يسعى الأفراد، بوعي أو دون وعي، إلى تبنّي السمات اللغوية التي تحمل قيمة اجتماعية ورمزية أعلى، خاصة في سياقات التفاعل الرسمي أو شبه الرسمي.

العوامل السوسيولغوية المؤثرة في التغيّر اللغوي

السلطة والمكانة الاجتماعية

تؤثر السلطة السياسية والمؤسسات الرسمية في التغيّر اللغوي من خلال فرض أنماط لغوية معينة في التعليم، والإعلام، والإدارة. كما أن اللهجات المرتبطة بالنخب الاجتماعية أو

بالمراكز الحضرية الكبرى غالبًا ما تحظى بدرجة أعلى من الشرعية والانتشار، مما يؤدي تدريجيًا إلى تهميش بعض السمات اللهجية المحلية أو إعادة تشكيلها.

الهجرة والتحرّك السكاني

تُعدّ الهجرة الداخلية والخارجية من أبرز العوامل التي تسهم في إعادة تشكيل الخريطة اللهجية في العالم العربي. فانتقال الأفراد من الريف إلى المدن، أو من بلد عربي إلى آخر، يؤدي إلى تفاعل لغوي معقّد، ينتج عنه تبنّي سمات لغوية جديدة أو التخلي عن أخرى، بحسب السياق الاجتماعي ومستوى الاندماج والقبول.(Trudgill 2000)

العولمة ووسائل الإعلام

أسهمت العولمة ووسائل الإعلام الحديثة، ولا سيما القنوات الفضائية ومنصّات التواصل الاجتماعي، في تسريع وتيرة التغيّر اللغوي، من خلال نشر أنماط لغوية عابرة للحدود الجغرافية. كما أدّت إلى ازدياد استخدام المفردات الأجنبية، خصوصًا الإنجليزية، داخل اللهجات العربية، مما أفرز أشكالًا لغوية هجينة تعكس تحوّلات ثقافية وهوياتية عميقة.

الجندر والتغيّر اللغوي

يُعدّ عامل الجندر من العوامل المحورية في دراسات التغيّر اللغوي، إذ تشير العديد من الدراسات السوسيولغوية إلى أن النساء غالبًا ما يكنّ أكثر ميلًا إلى تبنّي الأشكال اللغوية ذات المكانة الاجتماعية الأعلى، في حين يميل الرجال في بعض السياقات إلى المحافظة على السمات المحلية بوصفها مؤشرًا على الهوية والانتماء.(Eckert 2000)

نحو قراءة سوسيولغوية شاملة للتغيّر اللهجي العربي

إن دراسة التغيّر اللغوي في العالم العربي تقتضي تجاوز المقاربات الوصفية التقليدية التي تكتفي بتصنيف اللهجات ووصف خصائصها، والانتقال إلى تحليل سوسيولغوي شامل يربط بين اللغة وبُناها الاجتماعية والثقافية والسياسية. فاللهجات ليست كيانات ثابتة، بل أنساق ديناميكية تتأثر باستمرار بالتغيرات الاجتماعية، وتُعيد إنتاجها في الوقت نفسه.

الخاتمة

خلص هذا البحث إلى أن التغيّر اللغوي في العالم العربي ظاهرة معقّدة ومتعددة الأبعاد، لا يمكن تفسيرها من خلال العامل اللغوي وحده. فتنوع اللهجات واللهجات الحضرية يعكس تحوّلات اجتماعية عميقة ترتبط بالسلطة، والمكانة الاجتماعية، والهجرة، والعولمة، والجندر. ومن ثمّ، فإن المقاربة السوسيولغوية النوعية تمثّل إطارًا علميًا ملائمًا لفهم ديناميكية التغيّر اللهجي العربي، وتسهم في إعادة الاعتبار للهجات بوصفها مكوّنًا أساسيًا من مكوّنات الهوية اللغوية والثقافية في المجتمعات العربية المعاصرة.

المصادر والمراجع:

1. Bourdieu P. (1991). *Language and symbolic power*. Cambridge MA: Harvard University Press.
2. Eckert P. (2000). *Linguistic variation as social practice*. Oxford: Blackwell.
3. Ferguson C. A. (1959). Diglossia. *Word* 15(2) 325–340.
4. Holes C. (2004). *Modern Arabic: Structures/functions/and varieties*. Washington DC: Georgetown University Press.
5. Labov W. (2001). *Principles of linguistic change: Social factors*. Oxford: Blackwell.
6. Milroy L. & Milroy J. (1992). *Social network and social class: Toward an integrated sociolinguistic model*. Language in Society 21(1) 1–26.
7. Trudgill P. (2000). *Sociolinguistics: An introduction to language and society*. London: Penguin.
8. Versteegh K. (2014). *The Arabic language*. Edinburgh: Edinburgh University Press.